حق الجنسية في ليبيريا واسرائيل : قضية العبرانيين السود

انيس فوزي قاسم

« ان الافتراض القائل بان اليهود في فلسطين سيرتفعون بالضرورة الى مستوى روحي اعلى وانهم سيقدمون مثالا لالهام اليهود الموجودين في الشتات ، شبيه بالقول ان [وجود] ليبيريا مستقلة ستزغم من مكانة الزنوج في كل مكان آخر . »(١)

[موريس كوهن — ١٩٤٦]

انه لمن الغرابة بمكان أن لا ترحب ليبيريا ، وهي رسميا « دولة الزنوج » ، بأشخاص ذوي بشرة سوداء ، وان ترفض اسرائيل ، وهي رسميا « دولة اليهود » ، منح جنسيتها لاشخاص يدينون باليهودية . هذه ، باختصار ، هي المسألة المتعلقة بقضية مجموعة تسمي نفسها « العبرانيين السود » هجرت شيكاغو الى ليبيريا ومن ثم انتقلت الى اسرائيل للتوطن فيها .

سوف يستخدم قانون الجنسية في كل من ليبيريا واسرائيل كأداة مؤشرة الى الوضع المجتمعي لكلا الدولتين . ان اختيار قانون الجنسية للبحث في قضية العبرانيين السود يرجع ، في احد أسبابه ، الى أن قانون الجنسية من اكثر القوانين المحلية تعبيرا عن الفلسفة السياسية ، والتركيب الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للدولة المعنية . الا انه يجب أن لا ينصرفن الذهن الى الاعتقاد اننا نتناول هنا موضوعا في القانون المقارن ، او مسألة مدى انطباق هذين القانونين مع مبادىء القانون الدولي المتعلقة بالجنسية. اننا، بالتحديد ، نحاول البحث والمقارنة في وضعي مجتمعين عبرا عن نفسيهما في قوانين الجنسية . واخيرا سننتهي باستخلاص الدروس التي قد تفيدنا في تقييم البدائل المقترحة لحل المشاكل التي نتعرض لها .

ان ظهور ما نعرفه اليوم بجمهورية ليبيريا يعود في اساسه الى ظهور شبه طبقة اجتماعية في اميركا تسمى « الاحرار الزنوج »(٢) Free Negroes . لم تكن حركة تحرير العبيد متماثلة في جميع انحاء الولايات الاميركية . ان توسع انتشار وسائل الانتاج في الولايات الشمالية أدى الى تحرير العبيد في وقت مبكر في تلك الولايات . وما أن انتهى القرن الثامن عشر حتى أصبح الرق محرما بموجب القوانين النافذة آنئذ فيها. والعبيد الذين تم تحريرهم نتيجة لذلك اصبحوا يسمون « الاحرار الزنوج » . اما في الولايات الجنوبية ، فقد ظل العبيد اكثر وسائل الانتاج ربحا لا سيما في مجال زراعة القطن . ومن هنا يبدو سبب مقارنة الولايات الجنوبية لحركات تحرير الزنوج المنتشرة آنئذ في الشمال .

كان ظهور « الاحرار الزنوج » تطورا اجتماعيا محيرا . فمن جهة ، لم يكن هؤلاء احرارا بالمعنى الكامل الذي يجعلهم في مصاف البيض. فالزنجي الذي يدعي انه نال حريته، عليه